الحجة مريم كندش ملكة خبز المخلم والكدر تكسر حاجز غلاء الاسعار في رمضان

اجرى اللقاء / احمد حسن عقربي

الحاجة مريم كندش من قاطنات قرية الشقعة في محافظة لحج من اسرة عريقة في صناعة الخبز الاسمر (المخلم أو الكدر) التي تنتعش حركة بيعه في شهر رمضان المبارك.. والاسرة تتعامل مع هذه المهنة مما يقرب من ثمانين عاما جيلا بعد جيل من الجيل الثاني.

ولمعرفة اسرار هذه المهنة وروادها وصنعها ورواجها واختفاؤها بين زحمة مخابز العصر، وكذلك الجيل المتعامل معها ترد على هذه الاسئلة الحجة مريم في حصيلة هذا الحوار الرمضاني معها:

حاجة مريم كيف بدأ مشوارك مع مهنة خبز المخلم والكدر اللحجي وذروة بيعه في رمضان؟

في البداية.. شهر كريم اعاده الله علينا والمسلمين اجمعين ، فأني من اسرة عريقة امتهنت هذه المهنة عبر الاجداد، وامي الله يرحمها علمتني هذه المهنة وكانت توجهني بطريقة طحن الحبوب ، الحب الاحمر او ما يسمى بـ (الغربة) وحب الصنف الابيض وكيف يتم طحنه وعجنه مع مراعاة كمية الملح والثوم والبصل والحبة السوداء وكانت وجبة المخلم او الكدر هي الوجبة الشعبية المحبوبة في قرى ومدن لحج ، حيث وان الناس كانوا قبل اكثر من ستين عاما لا يتعاملون مع الارز والروتي وانما كانوا يعتمدون على حبوب الغرب والذرة والدخن الذي يخزن طيلة العام اثناء وبعد موسم الخير الزراعي .

يعني ان الحبوب بأنواعها ومنها حب الغرب الاحمر الذي تصنعين منه الخبز المخلم يزرع في مزارع القرية؟

نعم، يزرع في القرية ويتم حصده وبيعه بعد اخراج الحبوب من السنابل ثم نقوم بطحنه في المدر او المطحنة الحجرية في منزلنا وهذا التقليد هو عريق قبل ما تأتي شركات طحين هائل سعيد انعم.

هل كانت والدتك شديدة معك حتى تتقنين هذه المهنة؟

ضحكت وقالت: نعم كانت شديدة معي واحيانا تضربني بالقصب اليابس اذا شافتني غبت يوم عنها او اتلكأ في طحن الحبوب وعجنها وخبزها.. وكان علي الذهاب الى المحطاب من اجل جلب الحطب من اشجار الاثل والسمر لوقود الموفى الذي يلعب دورا كبيرا في انضاج الخبز ، خبز المخلم والكدر، لكن بالرغم من هذه الشدة علمتني حرفة تاريخية يرحمها الله حتى وان كانت قاسية بعض الشيء الا انني اصبحت اعيش من كسب هذه المهنة وربيت اولادي وعاونت ابو عيالي وبنيت اسرة بفضل هذه المهنة.

من هم الذين يتعاملون معك في شراء المخلم؟

ناس كثير وخاصة الشيوبة (كبار السن) اصحاب زمان الذين يعرفون بقيمة المخلم والكدر المصنوع من الحبوب، والخبز المخلم والكدر ربى رجال واصبح الناس في ذلك الزمان لا يعرفون امراض العصر كالسكري .

هل كسبتي من هذه الحرفة واصبحت لك تجارة وزاد رأسمالك؟

ابتسمت وقالت : اني عشقت وحببت هذه المهنة وهي صحيح في هذا الوقت تجارة غير رابحة بسبب غلاء الاسعار ولذلك اصبحت تجارة هذا النوع من الخبز محدودة وبيعها في اضيق الحدود فقط تنتعش تجارته في الريف في شهر رمضان وخصوصا لدى ابناء لحج وقراها وعند اهالي ضواحي عدن النائية.

هل ستشعرين بأن هذه المهنة في هذا النوع من الخبز ستنقرض مع تطور الافران التي تصنع رغيف الروتي العصري ؟

له عشاقه ومتذوقيه من الجيل القديم وسكان الريف الفقراء في المناطق الزراعية الذين لم يوجد لهم مصدر غذائي غيره وهو خبز الفقراء.

هل يمكنك ان تذكري لي المناطق المشهورة بصناعة الخبز المخلم والكدر؟

مناطق كثيرة مثل قرى لحج كالشقعة والمحله وطهرور والوهط وبيت عياض وكذلك قرى وضواحي عدن كبئر احمد والحسوة وبئر فضل وامصعبين والمدارة .

هل انتي مرتاحة من هذه المهنة؟

الحمد لله، اني مرتاحة ، كيف تشوف صحتي قدامك ماشاء الله ، اما سعره فقد كسرته في الاسواق بعشرين ريال او ثلاثين ريال ثمن القرص.

ما قولك في ختام هذا اللقاء؟

اطلب من جمعيات الاقراض ان تمنحني قرضا بدون ارباح حسب الشريعة الاسلامية حتى اوسع من انتاج هذا الخبز واحافظ على تراث الخبز التقليدي في اريياف لحج الذي بدأ يجذب الكثير من الناس وخصوصا المسنين والمصابين بأمراض العصر كالسكر لان هذا النوع من الخبز يحتوي على حبوب مغذية مقاومة لهذا المرض.

سلوك الصائم

وقفات مع سلوك المسلم في رمضان

من المعروف أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يفرض عبادة من العبادات أو طاعة من الطاعات إلا لغاية نبيلة وهدف جليل، يَصُب في مصلحة العبد، ومصلحة الناس من حوله. والشعائر الدينية في الإسلام لا تقتصر على الجوانب الظاهرة والمادية منها، بل تتعداها إلى مقاصد وغايات معنوية وروحية سامية، إذا تركها المسلم، أفرغ العبادة من جوهرها، وحوَّلها إلى طقس عشوائي لا معنى ولا قيمة له.

فشهر رمضان الكريم مثلا، ليس مجرد طقس يمتنع فيه الفرد عن شهوتَيْ البطن والفرج من طلوع الشمس إلى غروبها، بل هو أيضا مناسبة يلتزم فيها المسلم بالسلوكات الحسنة والمعاملات الطيبة، ويمتنع فيها عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، كي يَحْسُن صومه ويَثْبُتَ أجره. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِه إِلَّا الْجُوعُ وَالعَطَشُ)، فالغاية مِن الصِّيَام تتعدى الإحساس المادي بالجوع والعطش وغيرهما، إلى الإدراك الروحي لنعم الله وأفضاله، و الإحساس المعنوي بآلام الآخرين ومعاناتهم، وهمومهم ومشاكلهم.

والمسلم الحقيقي هو الذي يسعى بكل ما أوتي من قوة، إلى ممارسة عبادة الصوم بجوانبها المادية والروحية معاً، وجعلها بمثابة تدريب سنوي لتحسين أخلاقه والرقي بسلوكه في مختلف جوانب الحياة، بالشكل الذي يتلاءم مع الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا لَعَّانٍ، وَلَا فَاحِشٍ وَلَا بَذِيءٍ). فالمؤمن الحقُّ في رمضَانَ -وفي غير رمضان - لا يطعن في الناس وأعراضهم، ولا يلقي باللعنات هنا وهناك، ولا تصدر عنه الفواحش والبذاءة وغيرها من السلوكات المشينة والتصرفات الدنيئة.

والمسلم الحق في الأيام العادية - وفي شهر رمضان على الخصوص، لا يتحدث إلا بالصدق، ولا ينطق إلا بالخير، ولا ينقاد للممارسات المنبوذة كالكذب، والدجل، والخداع، وخيانة الأمانة، وشهادة الزور وغيرها، كي لا تنتفي معاني السلوك البنّاء من ممارسته لعبادة الصوم، وعندئذ فلا حاجة لله بصيامه. فقد جاء في الحديث الشريف عن نبينا الكريم قوله: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ به فَلَيْسَ لِلَّه حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ). أي منَ صام ولم يترك الكذب والعمل به فلا قيمة لصيامه.

والمسلم الحق أيضا، هو الذي يبتعد أثناء الصوم عن اللغو في القول، والفُحش في الكلام، ويتجنّب الرفث والفسق، فلا يُضَيِّع وقته في مجالس السوء والنميمة، ولا تضعف نفسه أمام شهوات الحياة المادية والمعنوية، ولا يدفعه سوء أدب الآخرين معه واستفزازهم له بالقول والعمل، إلى التفوه بالكلام الفاحش معهم والتلفظ بالعبارات البذيئة تجاههم، وبذلك يتحقق المقصد السامي للصوم، مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف: (لَيْسَ الصِّيامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صائِمٌ).

والمسلم الحق أيضا، هو الذي لا يتأثر أثناء الصوم بانقطاعه عن الأكل والشرب والشهوات الأخرى، فلا تضعف همته ولا تخفت عزيمته، فتراه هادئ النفس مطمئن البال، متحكما في أعصابه، كاتما لغضبه، كاظما لغيظه، فلا يصرخ في وجوه الناس ولا يخاصمهم، ولا يرفع صوته في وجوههم ولا يتوعدهم بغض النظر عن الأسباب والظروف، تماشيا مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ).

ومن خلال هذه السلوكات وغيرها، يمكن اعتبار شهر رمضان بمثابة ورشة تدريب في الأخلاق الحميدة والسلوكات الراقية، إذا استغلها المسلم كما يجب، استقامت شخصيته وانسجمت مع ذاتها ودينها ومحيطها في وحدة متآلفة، لا مكان للتصنع والرياء فيها. ليشكل المسلم بذلك، نموذجا يحتذى به في التوفيق بين العبادة والسلوك في رمضان وفي غير رمضان، وبذلك يصلح صومه، ويَثْبُت أجره ويعكس الصورة الحقيقية للدين الإسلامي الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحد أحاديثه عندما سئل ما الدين؟ فأجاب بكل بلاغة: (الدين المعاملة).